إعراب «لا سيما» وفوائد أخرى
تأليف الشيخ حسين بن محمد البالي الغزي
المتوفى سنة (١٢٧١هـ)
تحقيق الدكتور صبيح التميمي

عرض: د. إبراهيم عطية(*)

تعريف بالمؤلف(١):

هو الشيخ حسين بن محمد بن مصطفى البالي كنيةً، الغَزِّيّ مولدًا، الحلبيّ موطنًا. وُلد سنة (١٢٣٥هـ) في مدينة غزة، ودرس فيها العلومَ الأولى، ثم سافر إلى مصر والتحق بالجامع الأزهر، فدرس العلوم الشرعية والعربية، ولمّا أدرك غايتَه في نيل العِلم عاد إلى مدينته «غزة».

(*) باحث في علم اللغة من العراق.

(١) يُنظر في مصادر ترجمته: أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء لمحمد راغب الطّباخ ٧: ٢٨١، والأعلام للزركلي ٢: ٢٥٧، ومعجم المؤلفين لكحّالة ٤: ٥٨، والموسوعة الفلسطينية ٢: ٢٤٤، ونهر الذهب في تاريخ حلب ١: ٤٦٩، ومقدمة التحقيق المنشورة في مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد ٣٦ ص ١٣٥.

وبعد عودته إلى غزة رحل إلى «طرابلس» سنة (١٢٦٠هـ)، ثم انتقل إلى «حلب» سنة (١٢٦٤هـ) واستقر فيها حتى وفاته.

وفي حلب تصدَّر تدريس العلوم الشرعية والعربية في جامع «السكاكيني»، ثم في المدرسة «السيافية»، التي بناها له أهل الخير.

وهو والد المؤرِّخ الشهير كامل الغَزِّي (ت ١٣٥١هـ)، صاحب كتاب «نهر الذَّهَب في تاريخ حلب».

ومن أشهر تلاميذ الشيخ البالي: الشيخ أحمد الكواكبي، والشيخ أحمد الزويتني، والشيخ طاهر الطيار الكيالي، والشيخ عبد الرؤوف الطيّار الكيّالي، والشيخ محمد الخياط.

ترك الشيخ حسين البالي مؤلَّفات عدة منها:

١- بعض كراريس في شرح سُلَّم المنطق.

٢- ديوان شعر.

٣- رسالة في التوحيد.

٤- رسالة في المجاز.

٥- الكشف الوافي على متن الكافي في العروض والقوافي.

٦- منظومة «منحة الرحمن في فضائل رمضان».

٧- عطايا المَنّان، وهو شرح لمنظومة «منحة الرحمن».

٨- **رسالة في إعراب «لا سيما» وفوائد أخرى**. وهي الرسالة التي أعرض تعريفًا بها في هذه الصفحات.

وصف الرسالة ومنهج المؤلِّف والمحقِّق:

نُشرت الرسالة بعد تحقيقها في العدد (٣٦) من مجلة آفاق الثقافة والتراث لعام ٢٠٠٢، في الصفحات (١٣٣ - ١٨٩).

ويقع النص المحقَّق في (٤٦) صفحة من صفحات المجلة، يُضاف إلى ذلك (٨) صفحات للعنوان ومقدمة التحقيق، و(٣) صفحات لمصادر التحقيق ومراجعه.

وقد ذكر المؤلِّف في مقدمة الرسالة دواعيَ تأليفها ومحتواها فقال: «قد سألني مَن لا تسعني مخالفته أن أضع له في إعراب لاسيما رسالةً لطيفة، وأُذيّلها بفوائد جليلة. فأجبته إلى ذلك وجعلتها ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: في إعراب «لاسيما» وما يتعلَّق بها.

الفائدة الثانية: في إعراب «لا أبا لزيد».

الفائدة الثالثة: في مسائل متفرّقة»[٢].

فالمادة العلمية للرسالة تتوزَّع ، كما هو واضح، على ثلاثة أقسام:

يضمّ القسم الأول حديثَ المؤلِّف عن «لاسيما» وما يتعلَّق بها من تصريف وإعراب وآراء، وقد أدرج المؤلِّف حديثه تحت عدد من المطالب، ذَكر فيها تثنية «سي» وتصريفه، وأنه واوي العين كـ «مِثْل» وزنًا ومعنًى، والفرق بين «لاسيما» وأدوات الاستثناء، وأجزاء «لاسيما» وإعرابها وإعراب ما بعدها، ومذهب الجمهور فيها، ومذهب من تفرَّد عنهم كالأخفش وأبي علي الفارسي، واستعمالها بمعنى خصوصًا، وما يعتريها من تخفيف وحذف بعض أجزائها، إضافة إلى أوجه الشَّبَه والاختلاف بين النداء وأسلوب الاختصاص.

(٢) مجلة آفاق الثقافة، العدد ٣٦ ص١٤١.

وفي القسم الثاني تحدَّث المؤلِّف عن إعراب «لا أبا لزيدٍ» وما يُشبهها، فذكر مذاهب النحويين وآراءَهم فيها، مع المناقشة والاعتراض والترجيح، إذ عَرض ثلاثة مذاهب فيها، ورجَّح مذهب سيبويه والجمهور، كما سيظهر.

وفي القسم الثالث عرض المؤلِّف مسائل متفرِّقة، أراد التنبيه عليها، وهي: الأعداد المركبة من أحدَ عشر إلى تسعةَ عشر، وعِلّة بنائها، و«كم» الاستفهامية والخبرية، وما بينهما من اتفاق وافتراق، وضوابط استعمالهما، وإعرابهما مع ما يتعلَّق بهما، وحروف الإيجاب (نَعَم وبَلَى وأجَلْ ...) وأوجه استعمالها وإعرابها، والإشارة بـ«ذلك» للمثنى، إضافة إلى عرض بعض الأبيات الشعرية التي تتضمن ألغازًا نحوية، مع تفسيرها.

وتغلب على منهج المؤلِّف سمةُ الإحاطة والشمول، التي شاعت عند العلماء المتأخرين، وتقوم على جمع كل المعلومات والآراء والاجتهادات والأقوال التي تتصل بالموضوع المدروس، ثم عرضها منسوبة إلى أصحابها مع المناقشة والتصويب والاعتراض والترجيح وفق الأدلة والشواهد.

ففي حديثه عن بناء «لاسيما» مثلاً ذكر أن «السي» واوي العين مستدلاً بأمثلة الاشتقاق نحو: استويا وتساوَيا وهو مُستوٍ ومُتساوٍ. فذكر أن أصله «سِوْيٌ» كـ«مِثْل» وزنًا ومعنًى، ثم تحدَّث عن تثنيته، وما دخله من إعلال، مع عرض بعض الكلمات التي فيها إعلال مُشابِه مثل «سيد ومَيِّت وطَيّ ولَيّ». وفي أثناء ذلك عرض آراء النحويين بدءًا بسيبويه والخليل، مرورًا بابن مالك والرضي الأستراباذي والمرادي وابن هشام، وانتهاءً بالدَّماميني (ت ٨٣٨ هـ) وخالد الأزهري (ت ٩٠٥هـ) والسيوطي (ت ٩١١ هـ) وغيرهم.

وقد أتبع كلَّ رأي بالمناقشة والتوجيه، معتمدًا على أقوال النحاة وآرائهم، وما يحتاجه من أدلة وشواهد.

وهذا المنهج أصبح شائعًا عند المؤلِّفين المتأخِّرين من النحاة وغيرهم، كما في خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ).

ويتَّسم منهج المؤلِّف أيضًا بالاستطراد، وهذا الاستطراد نوعان: منه ما يبقى ضمن الدراسة اللغوية كالحديث عن آراء النحويين في بناء (سيد وميِّت) وما حصل فيه من إعلال، ومنه ما يخرج عن الموضوع المدروس كالحديث عن امرئ القيس ونسبه ولقبه ومنزلته الشعرية وما حصل بينه وبين العذارى في يوم دارة جُلجُل الذي أشار إليه في معلقته بقوله:

ألا رُبَّ يَومٍ لَكَ مِنهُنَّ صالِحٍ ولاسيما يَومٍ بدارةِ جُلجُلِ

وقد أشار المحقِّق الفاضل إلى أنه اعتمد في تحقيق الرسالة على ثلاث نسخ مخطوطة، ونشر صورة الصفحة الأولى والأخيرة منها وهي:

١- نسخة الظاهرية التي اعتمدها أصلاً.

٢- نسخة معهد التراث بحلب.

٣- نسخة المكتبة الأحمدية بحلب، وهذه الأخيرة توجد نسخة مطابقة لها تمامًا في مجمع اللغة العربية بدمشق تحت الرقم ١٩٤.

وبذل المحقِّق جهدًا طيِّبًا في ضبط النص وتوثيق المعلومات وتخريج الشواهد والتعريف بالأعلام الواردة أسماؤُهم في الرسالة.

القيمة العلمية للرسالة:

تمثِّل الرسالةُ بحثًا مهمًّا في مجال الدراسات النحوية وتاريخها، لاحتوائها على معلومات صرفية وإعرابية، وما تضمَّنته من آراء النحويين القدماء والمتأخرين، يُضاف إلى ذلك ما تميَّز به أسلوب المؤلف من براعة وعمق في إيراد الأدلة ومناقشة الآراء والحكم عليها.

فالقيمة العلمية للرسالة يُمكن تلخيصها فيما يلي:

١- تعريف القارئ بمنهج التأليف السائد عند المتأخرين من النحاة وغيرهم من علماء العربية، الذي يقوم على الاستقصاء والشمول والإحاطة بكافة المعلومات التي تتصل بالموضوع المدروس.

٢- التعريف بطريقة بعض المؤلِّفين التي يفترضون فيها وجود اعتراض على مسألة أو معلومة، ثم يردُّون على ذلك الاعتراض المفترَض بالأدلة والشواهد، وغايتهم من وراء ذلك استكمال المناقشة والإحاطة بجوانب المسألة المدروسة.

٣- تأكيد أنَّ العصور المتأخرة ليست عصور انحطاط علميّ، كما يُصوِّرها كثير من المؤرِّخين وغيرهم، بل هي عصور ازدهر فيها العلم، وعُرف فيها ما يُسمَّى التأليف الموسوعي.

٤- ملاحظة التطور الكبير في كتابة المقدِّمات، إذ كانت مقدِّمات الكتب في العصور السابقة لا تدلّ في الغالب على مضمون الكتاب، بل كانت أشبه ببحث تمهيدي، يتضمن معلومات وآراء نقدية وغير ذلك، بحيث يُمكن اعتباره جزءًا من المؤلَّف.

٥- تزويد القارئ بمعلومات نحوية وصرفية استلَّها المؤلِّف من بطون

الكتب، ووضعها في رسالة واحدة. وهذه المعلومات لا يتيسر للقارئ أن يصل إليها في مصادرها بسهولة.

٦- تزويد القارئ بالحجج المنطقية والدُّربة على المناقشة والتعمّق الفكري في المسائل العلمية.

ما يحتاج إليه عامة المثقَّفين من معلومات الرسالة:

تتضمن الرسالة معلومات نحوية مهمّة، يحتاج إليها المختصون في النحو. أما عامة المثقَّفين فلا تهمُّهم الآراء والخلافات والمذاهب النحوية، بل يهمّهم أن يُحصِّلوا ما تتضمنه الرسالة من قواعد استقرَّ عليها النحو المعاصر، وتحصيل هذه الفائدة من الرسالة مباشرة لا يتيسر لعامة المثقَّفين، لغلبة الأسلوب المنطقي على الرسالة، وكثرة الآراء والمذاهب التي عرضها المؤلِّف وناقشها.

لهذا وجدت من تمام الفائدة أن أعرض ما تضمّه الرسالة من معلومات نحوية يحتاج إليها عامة المثقَّفين والطلاب، ومن أراد التوسُّع أو التخصُّص فلا بدَّ له من العودة إلى الرسالة.

أولاً- يمكن تلخيص أبرز ما جاء في الرسالة بما يلي:

١- «السي»: اسم بمعنى مِثْل، و«لاسيما» معناها: لا مِثْل. فمعنى «أحبُّ العلماءَ ولاسيما زيد»: أحبُّ العلماء ولامثلَ زيدٍ.

ويجوز في الاسم الواقع بعد «لاسيما» الرفع والجرّ والنصب. وفي جميع الحالات تُعرب «ولاسيما» على هذا النحو:

الواو: حالية. ولا: نافية للجنس تعمل عمل إنّ. وسي: اسمها منصوب. وخبر «لا» محذوف تقديره: موجود.

أما «ما» والاسم الواقع بعدها فيُعربان على النحو:

أ- في حالة الرفع:

ما: اسم موصول في محل جرٍّ، مضافٌ إليه. وزيدٌ: خبر لمبتدأ محذوف. والتقدير: أحبُّ العلماءَ ولا مِثلَ الذي هو زيدٌ.

ويجوز إعراب «ما» نكرةً موصوفة مبنية على السكون في محل جرٍّ، مضافًا إليه. وزيدٌ: خبر لمبتدأ محذوف أيضًا. والتقدير: أحبُّ العلماءَ ولا مثلَ شخصٍ هو زيدٌ. وجملة «هو زيد» في محل جرٍّ، صفةٌ لـ«ما».

ب- في حالة الجرّ:

ما: زائدة. وزيدٍ: مضاف إليه مجرور. والتقدير: أحبُّ العلماءَ ولا مِثلَ زيدٍ.

ت- في حالة النصب:

ما: نكرة تامة مبنية على السكون في محل جرٍّ، مضافٌ إليه. وزيدًا: اسم منصوب على الاختصاص، أي مفعول به لفعل محذوف تقديره: أعني أو أخصُّ. والتقدير: أحبُّ العلماءَ ولا مِثلَ شخصٍ أعني زيدًا.

ويجوز إعراب «ما» زائدة كافة عن الإضافة. وزيدًا: تمييز منصوب. وهذا الوجه ضعيف عند الجمهور، ولا يأخذون به إلا إذا كان ما بعد «لاسيما» نكرة.

وقد استشهد المؤلِّف مرارًا ببيت مشهور لامرئ القيس في معلقته وهو قوله:

ألا رُبَّ يَومٍ لَكَ مِنهُنَّ صالِحٍ ولاسيما يَومٍ بِدارةِ جُلجُلِ

وفي هذا البيت أجاز النحويُّون في «يوم» الرفع والنصب والجرّ، وفق التوجيهات الوارد قبل قليل.

٢- تُستعمل «لاسيما» بمعنى: خصوصًا، فيُحذَف ما بعدها، ويُؤتى بحالٍ مفردة أو جملة أو شبه جملة، وتكون «لاسيما» حينئذٍ منصوبة المحل على أنها مفعول مطلق. نحو:

أحبُّ زيدًا ولاسيما راكبًا، أو ولاسيما على الفرس، أو ولاسيما وهو راكبٌ، أو ولاسيما إنْ رَكِب.

فـ«لاسيما» كلّها: في محل نصب مفعول مطلق لفعل محذوف. والتقدير: أخصُّ زيدًا بمحبّتي خصوصًا.

و«راكبًا» و«على الفرس» و«وهو راكب» و«إنْ رَكِب»: حال من مفعول ذلك الفعل المقدَّر.

وتُعرَب أجزاء «ولاسيما» على النحو:

الواو: اعتراضية. و«لا»: نافية للجنس تعمل عمل إنَّ. وسي: اسم «لا». وخبر «لا» محذوف. و«ما»: كافة لا عمل لها، أو نكرة تامة في محلّ جرٍّ، مضاف إليه.

٣- أسلوب الاختصاص هو: أن يُؤتَى باسم منصوب يُفَسر به المقصود من ضمير المتكلِّم الذي يسبقه، كما في الحديث الشريف: «إنّا - معاشر الأنبياءِ - لا نُورَثُ» ويُعرب على النحو:

إنّا: حرف مشبه بالفعل. ونا: ضمير متّصل في محلّ نصب اسمه. وجملة «لا نُورَثُ»: في محلّ رفعٍ، خبرُ إنّ.

معاشر: اسم منصوب على الاختصاص، أو مفعول به لفعل محذوف تقديره أخصُّ أو أعني. والأنبياءِ: مضاف إليه مجرور. وجملة الاختصاص: اعتراضية لا محلَّ لها من الإعراب.

وقد يجيء الاسم المنصوب على الاختصاص لتفسير ضمير المخاطَب كما في: «بِكَ – اللهَ – نرجو الفضلَ».

ويُمكن أن يجيءَ الاختصاص بصيغة النداء كما في: اللهُمَّ اغفِرْ لنا أيّتُها العِصابةُ.

فـ«أيّتُها العصابةُ»: محلها النصب على الاختصاص. أما أجزاؤُها فتُعرَب كما تُعرب في أسلوب النداء على النحو:

أيّتُها: منادى مبنيّ على الضم في محل نصب. وها: للتنبيه أغنت عن الإضافة. والعصابةُ: بدل من «أيّةُ» مرفوع.

٤– الأعداد المركّبة هي من «أحدَ عشر» إلى «تسعةَ عشر» كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّيْ رأيتُ أحَدَ عَشَرَ كَوكَبًا﴾ [يوسف: ٤]. وتُعرَب على النحو:

أحدَ عشر: جزءان مبنيان على الفتح في محل نصبٍ، مفعولٌ به.

كوكبًا: تمييز منصوب.

وقال تعالى: ﴿عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠]. فـ«تسعةَ عشر»: جزءان مبنيان على الفتح في محلّ رفع، مبتدأٌ مؤخَّر.

ويُستثنى من الإعراب السابق «اثنا عشر» و«اثنتا عشرةَ» فيُعرب الجزء الأول إعراب المثنى، ويُعرب الثاني على أنه جزء متمِّم لا محلّ له من الإعراب، كما في قوله تعالى: ﴿فَانفَجَرَتْ مِنهُ اثنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]. فـ«اثنتا»: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه ملحق بالمثنى. وعشرةَ: جزء متمِّم مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب.

أما «إحدى عشرةَ» و«ثماني عشرةَ» فالجزء الأول مبني على السكون. والثاني مبني على الفتح.

٥- «كمْ» نوعان: استفهامية يُستفهَم بها عن العدد كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُم فِيْ الأرضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢]، وخبرية يُراد بها الإخبار عن الكثرة كما في قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٢٥].

وقد فصَّل النحويون والمؤلِّف في إعرابهما تفصيلاً مُطوَّلاً يُمكن تلخيصه، بعد استقراء الأمثلة والشواهد، في قاعدة واحدة هي أن:

«كَمْ» الاستفهامية يجيء تمييزها منصوبًا، وتُعرَب بحسب الكلمة التي تحلُّ محلَّها في الجواب عليها.

و«كم» الخبرية يجيء تمييزها مجرورًا على أنه مضاف إليه، وتُعرَب أمثلتها بحسب ما تُحمَل عليه من أمثلة «كم» الاستفهامية. مع التذكير بجواز حذف تمييز «كم» بنوعيها إذا دلَّ عليه السياق.

يُقال مثلاً: كم كتابًا عندَكَ؟ فالجواب: عندي خمسةٌ. فـ«خمسةٌ» هي الكلمة التي حلَّت محلَّ «كم» في الجواب، وإعرابها مبتدأ، لذلك يُقال في إعراب «كم» هنا: استفهامية مبنية على السكون في محلّ رفع مبتدأ. وصورة «كم» الخبرية المطابقة لهذا الاستعمال أن يُقال: كم كتابٍ عندكَ! ويكون لها الإعراب ذاته، أي: خبرية مبنية على السكون في محلّ رفع مبتدأ.

والجدول التالي يوضح صوَرَ الاستعمال والجواب والإعراب لكليهما:

كم الاستفهامية	الجواب عليها	«كم» الخبرية المطابقة لها	الإعـــراب
كم عددُ الضيوفِ؟	عددهم خمسةٌ	كم(*) عدد الضيوف!	في محل رفع خبر
كم كتابًا قرأتَ؟	قرأتُ سبعةً	كم كتابٍ قرأتَ!	في محل نصب مفعول به
كم جَلسةً جَلَستَ؟	جلستُ جلسةً	كم جلسةٍ جلَستَ!	في محل نصب مفعول مطلق
كم ساعةً نمتَ؟	نمتُ ساعتينِ	كم ساعةٍ نِمتَ!	في محل نصب على الظرفية الزمانية
كم رجلاً جاء؟	خمسةٌ جاؤوا(٣)	كم رجلٍ جاء!	في محل رفع مبتدأ

هذه جملة الفوائد التي تضمنتها الرسالة مما يحتاج إليه عامة المثقفين. وقد آثرت أن أعرضها في هذه الصفحات لأن تحصيلها من الرسالة لا يتيسر بسهولة. وبها ينتهي الحديث المخصَّص للتعريف برسالة «لاسيما» وفوائد أخرى للشيخ حسين البالي.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(*) كذا وردت ! [المجلة]

(٣) لا يُقال في الجواب المفترض: جاء خمسةٌ، لأن «كم» لا تجيء فاعلاً.